مع الدكتور عبد الهادي الفضلي



في ظلال النبوة

حوار حول السيرة الذاتية وارتباطها بالعمل الإسلامي

مع قراءة للسيرة النبوية الاجتماعية

في ظلال النبوة

مع الدكتور عبد الهادي الفضلي

في ظلال النبوة

حوار حول السيرة الذاتية وارتباطها بالعمل الإسلامي
مع قراءة للسيرة النبوية الاجتماعية

مع الدكتور عبد الهادي الفضلي

منشورات لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ-٢٠١٣م

منشورات لجنة مؤلّفات العلامة الفضلي

القطيف ـ المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

كلما ارتقى الإنسان بفكره وثقافته، كان ذلك دافعًا له للتفكير فيما هو عالٍ لشخصه ولمجتمعه ومحيطه. وغالبًا ما ترتقي المجتمعات برجالها الطامحين المتطلّعين للمستقبل بأملٍ ورؤية نافذة وبصيرة واعية.

وقد حفلت مجتمعاتنا الإسلامية ـ بتنوّعاتها المختلفة ـ بالعديد من هؤلاء الرجال الطامحين والطليعيين، الذين شكّلوا ـ بمجموعهم ـ أهم رجالات الإصلاح والنهضة في عصرنا الحاضر.

وإنه لمن حقهم على الأمة ـ متمثّلة في شعوبها ـ أن تسجّل لهم إنجازاتهم وعطاءاتهم ومساهماتهم الفكرية والعلمية والثقافية التي ارتقت بالخطاب الإسلامي المعاصر، وكان لها الدور الفاعل في تحديثه وعصرنته وإنماء الحركة الإصلاحية فيه.

وفي عصرنا الحاضر يعدّ **العلاّمة الفقيد الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي** قدس سره أحد روّاد الإصلاح الذين تعددت مجالات الريادة لديهم في

أكثر من موقع وفي أكثر من بقعة. وقد خسرت الأمّة بفقده العالم والمفكّر والمجاهد والمصلح والمربّي والمؤمن العابد، وذلك بعد عمر مليء بالعطاء الفكري والثقافي امتد لأكثر من ستين عامًا، بدءًا من رحلته إلى مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م وحتى إصابته المرضية التي أقعدته، فقضى سنواته الأخيرة مثالاً للمؤمن الصابر المحتسب الشاكر.

وقد ارتأيتُ ـ وقد وافاني نبأ رحيله المؤلم وأنا بعيد الشقّة عن مشاركة المؤمنين ألم المصاب والفقد ـ أن أشارك بنشر بعضٍ من تراثه الثقافي والفكري، حيث مارس دوره التبليغي والتثقيفي خلال أكثر من عشر سنوات متواصلة وذلك من خلال المشاركة في البرامج الثقافية والمناسبات الدينية المتعدّدة، وقد شكّلت تلكم المشاركات ـ بمجموعها ـ ثروة ثقافية جديرة بالتدوين والدراسة والنشر.

وما بين دفتي هذا الكتيب يمثّل ندوة حوارية بمناسبة المولد النبوي الشريف، أقيم في القطيف بتاريخ ١٢/ ربيع الأول/ ١٤١١هـ الموافق للأول من أكتوبر ١٩٩٠م، وكان سماحته للتوّ قدم للمنطقة متقاعدًا من جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، وكان الجمهور متشوّقًا لمعرفة المزيد عن شخصيته المباركة، وهو ما تطلّب من المقدّم أن يقسم الندوة إلى قسمين، الأول منهما التعريف بالمحاضر، فيما كان القسم الثاني يدور حول الاستفادة من التجربة النبوية مع المجتمع المدني بما يخدم العمل الإسلامي والاجتماعي المحلي، وقد وجدتُ في الندوة طرحًا ثقافيًّا وتحليليًّا قيمًا، وآثرتُ نشرها في كتاب مستقلّ، أرجو أن

أكون قد وفقتُ في الاختيار وبيان الفكرة بما يتناسب وطرح سماحة الشيخ الفقيد. رحمه الله رحمة الأبرار، وأنزل عليه شآبيب الرحمة والمغفرة والرضوان، وحشره مع محبيه من آل البيت عليهم السلام، وجزاه لقاء ما قدّم للدين والأمة خير الجزاء.

حسين منصور الشيخ
بلومنغتون، ولاية إنديانا الأمريكية
١٠/ ٦/ ١٤٣٤هـ: ٢٠/ ٤/ ٢٠١٣م

كلمة مقدّم الحفل

بمناسبة مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم نلتقي هذه الليلة صاحب الفضيلة سماحة العلاّمة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ حفظه الله ـ في حوار يتضمّن قسمين رئيسين: القسم الشخصي، ونعني به تعرّف شخصية سماحة الدكتور ـ حفظه الله ـ من خلال بعض الأسئلة التي يكون محورها حول سيرته المباركة، لننتقل بعدها إلى الحديث حول الجانب الاجتماعي، ونعني به الحديث عن علاقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمجتمع الإسلامي وما نستفيده من تلك العلاقات في أبعادها وجوانبها المتعدّدة.

كما نرحّب بمشاركة الجمهور في طرح الأسئلة على سماحة الشيخ الدكتور فيما يتاح من وقت.

الفصل الأول

الحوزة النجفية والبيئة المؤسِّسة

- النشأة وبدايات التلقّي العلمي
- مراحل الدراسات الحوزوية
- أساتذة مرحلتي السطوح والبحث الخارج
- النجف في عصرها الذهبي

النشأة وبدايات التلقّي العلمي

■ متى كان مولدكم المبارك؟ وفي أي مكان؟

□ نلتقي في هذه الليلة المباركة بمناسبة ذكرى ميلاد الرسول الأعظم ﷺ وفق رواية ثقة الإسلام الكليني في الكافي الذي يروي فيه بأن ميلاد النبي ﷺ كان في الثاني عشر من ربيع الأول، والرواية ـ حسب قواعد الرجال ـ صحيحة، ذلك أننا (الشيعة) لدينا روايتان، الأولى: المشهورة التي بها العمل، وهي رواية السابع عشر من شهر ربيع الأول، والرواية الأخرى هي رواية الشيخ الكليني التي أشرتُ إليها، وبهذه المناسبة أرفع لكم ولجميع المسلمين والمسلمات أسمى آيات التبريك بهذه المناسبة السعيدة.

وإجابةً عن السؤال، أجيب بأنني ولدتُ في ليلة الجمعة العاشر من شهر رمضان سنة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م بمدينة البصرة العراقية.

■ متى بدأتم الدراسة الحوزوية والدراسة النظامية؟

□ بدأتُ الدراسة النظامية من السنة السادسة؛ وفقًا للنظام العراقي آنذاك ـ كما هو موجود في بقية البلاد العربية، حيث تبدأ الدراسة في المرحلة الابتدائية مع إتمام السنة السادسة. فالتحقتُ بالمدرسة عملاً بذلكم النظام، وأثناء دراستي فيها، تلمذتُ على سماحة سيدي الوالد ﷺ من خلال الدراسة الحوزوية، فدرستُ المقدّمة الآجرومية لابن آجروم وقطر الندى لابن هشام الأنصاري وشرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك في النحو. ودرستُ في المنطق حاشية الملاّ عبد الله على متن التهذيب وشرح الشمسية، وغيرها من دروس المقدّمات.

ثم انتقلتُ إلى النجف الأشرف وواصلتُ الدراسة بإتمام المقدّمات والسطوح. وهنا أستميح المقدّم والإخوة الحضور قليلاً بألاّ يكون الحديث مركزًا حول الجوانب الشخصية كثيرًا، وإنما عن الجوّ العام في ذلكم الوقت، إذ أحاول أن أكشف بعض الجوانب عن النجف الأشرف كمركز علمي إسلامي، يعدّ من أقدم المراكز العلمية الإسلامية، كما هو بيِّنٌ في تاريخه ورجالاته وما قدموه من عطاءات علمية من بواكير الدرس الشرعي الإسلامي. إذ أحاول انطلاقًا من الإجابة عن الأسئلة أن أعطي فكرةً عامّة حول بعض معالم الحوزة النجفية أيامَ تواجدي فيها في خمسينيات وستينيات هذا القرن العشرين.

مراحل الدراسات الحوزوية

الدراسات الحوزوية تقسّم إلى ثلاث مراحل: مرحلة المقدّمات، ومرحلة السطوح، ومرحلة البحث الخارج.

مرحلة المقدّمات:

سميت مرحلة المقدّمات بهذا الاسم لأن العلوم التي تدرس فيها كتبت على أساس أن تكون مقدّمة للتخصّص في علم الفقه، بمعنى أنها تدرس كعلوم مساعدة لعلم الفقه. وأوضّح هذا أكثر بشيء قليل من الشرح:

الفقه هو علم يدرس الأحكام الشرعية: الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهة والإباحة، وهي أحكام تطبّق على موضوعات عدة، من قبيل: الصلاة والصوم والبيع والتجارة والمعاملات الأخرى، وهذا ما نسميه ـ جميعًا ـ بالفقه.

الأحكام الشرعية التي تكوّن علم الفقه أكثرها مستنبط من القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذان المصدران (القرآن والحديث) مدونان باللغة العربية، وإذا أراد الفقيه أن يفهم القرآن الكريم ليستفيد منه في استنباط الأحكام الشرعية ومعه نصوص الحديث الشريف، لا بدّ له من معرفة قواعد اللغة العربية. وانطلاقًا من تلكم العلاقة يدرس طالب العلم في الحوزة الصرف والنحو والبلاغة وما يعرف بمتن اللغة والمعاجم، وكذلك ما يعرف حديثًا بعلم الدلالة الذي يستفاد من دراسة مباحث الألفاظ في علم الأصول.

ولذلك تدرس علوم اللغة العربية علومًا مساعدة على فهم النص القرآني والروائي.

ومن المقدّمات أيضًا: علم المنطق، حيث يدرسه طالب العلم ليفيد منه قواعد التعريف والاستدلال، إذ ـ من خلال المنطق ـ يتقن الطالب تعريف المصطلحات التي يحتاجها في علم الفقه ويعرف كيف يتعامل معها وتعريفها تعريفًا علميًّا دقيقًا، إذ المنطق هو المرشد في ذلكم الاتجاه من خلال ما يحتويه من قواعد علمية في عملية التعريف. كما أن المنطق هو المرشد في عملية الاستدلال العلمي والبرهنة على المسائل التي يحتويها كل علم من العلوم، ومنها المسائل والقضايا الفقهية.

مرحلة السطوح:

والتسمية هنا تسمية أعجمية، ومع الأسف أننا استعجمنا معهم؛ إذ المراد هنا أن الدراسة لا تزال دراسة سطحية، بمعنى أنها لا تشتمل على استدلال، والمفترض أن تسمىّ (سطحية) ـ كما هو متعارف في النسبة إلى السطح، ففي العربية لا يقال للنسبة إلى الدراسة: دروس ـ مثلاً، وإنما يقال: دراسي ودراسية، فيوصف الكتابة بأنه دراسي، والمرحلة بأنها دراسية. ولكن لكثرة الأعاجم، غلبت التسمية الأعجمية.

وفي هذه المرحلة يدرس الطالب الفقه وأصوله، من خلال كتب مقرّرة معروفة ليس فيها ذلك الاستدلال العميق، وإنما مستوى من الاستدلال يساعد ويمهّد الطالب لحضور البحث الخارج، وهي المرحلة الثالثة والأخيرة، حيث تتعمّق الدراسة هناك ويتمرّن فيها الطالب على الاستدلال والبرهنة على المسائل الفقهية والأصولية التفصيلية.

مرحلة بحث الخارج:

ونقصد بالبحث الخارج: حضور محاضرات الأساتذة الكبار في علمي الفقه وأصوله. وسميت بهذا الاسم لأنه خارج الكتاب، فالطالب لا يدرس في هذه المرحلة في علمي الفقه وأصوله ضمن كتاب مقرّر، وإنما يأخذه من بحث الفقيه وعالم أصول الفقه، فالدرس يكون خارج الكتاب.

والتركيب ـ هنا في التسمية ـ تركيب أعجمي أيضًا، وما يؤسف عليه أننا نستورد ـ في بعض الأحيان ـ بعض التسميات ولا نحاول أن نغير فيها بما يتناسب وأسلوب اللغة العربية، وكان المفترض أن يتبع كلمة (خارج) كلمة توضيحية ليفهم منها المعنى المراد تمامًا، أو تسمّى دراسة استدلالية، وصفًا لها وتمييزًا عن المرحلة السابقة.

أساتذة مرحلتي السطوح والبحث الخارج

وبعد استعراض هذه المقدّمة التعريفية بالدرس الحوزوي، أعود إلى سؤال المقدّم، فأجيب بأنني في مرحلة السطوح كان من أهم الأساتذة الذين درست عليهم: الشيخ علي أمين زين الدين، والسيد محمد حسين الحكيم، والشيخ محمد علي الحوماني، والسيد علي شبّر رحمهم الله. هؤلاء هم أبرز أساتذة السطوح أو الدروس السطحية في النجف الأشرف. وفي البحث الخارج ـ باختصار ـ: حضرتُ بحث المرجع الديني الكبير السيد محسن الحكيم ـ أعلى الله مقامه، وبحث المرجع الديني المعاصر السيد الخوئي ـ حفظه الله، وبحث الشهيد الصدر ـ

رضوان الله عليه، وبحث الشيخ المطهر الشيخ راضي والشيخ محمد رضا المظفّر رحمهما الله، والسيد محمد تقي الحكيم ـ حفظه الله.

■ **إن الملاحظ من سيرتكم التحلّي بروح التواضع والخلق الرفيع، ونودّ أن نتعرف أولئكم الأساتذة الذين كان لهم تأثير على سلوككم وعلى سيرتكم الخلقية؟**

□ كل فرد منّا مرّ بالعديد من التجارب في هذه الحياة وتعامل مع الكثير من الناس، وانطلاقًا من ذلك، أشير إلى تعاملنا ـ كطلبة ـ مع العديد من الأساتذة من خلال حضور درسهم، وهي العلاقة التي ربما تتطور إلى أن تكون مع الزمن علاقة خاصّة بين التلميذ والأستاذ. وخلال حضوري دروس البحث الخارج، تكونت مجموعة من العلاقات الخاصة مع أولئكم الأساتذة، وقد كان لكل أستاذ منهم ما يتميّز به في جانب معين في شخصيته، أشير إلى بعضهم هنا، وبشيء من الإيجاز:

(١) السيد محسن الحكيم:

حضرت بحثه الفقهي دون بحثه الآخر في أصول الفقه. حيث كان يلقيه صيفًا في المسجد المعروف بمسجد الطوسي، وشتاءً بمسجد عمران بن شاهين، وكان يصلّي ظهرًا في الجامع الهندي، ومغربًا في الصحن الشريف. لقد كان بحثه ـ في حدود معرفتي بالأبحاث ـ من أوسع الأبحاث حضورًا، فالعدد الذي كان يحضر لديه كبيرًا جدًّا، منهم

المجتهدون سواءً من كبار السن أو من الكهول، وحتى من بعض الشباب.

كان يتميّز ﵀ بلملمة الموضوع، فلم يكن يستطرد في شرح الموضوع كثيرًا، وإنما يحاول أن يلملم الموضوع وينظّمه ويعرضه بشكل موجز، مع أصالة وعمق وتركيز. وكان يتميّز بالذوق العربي لمعرفة النصوص ومعالجتها؛ لأنه عربي. وقد دوّنت أبحاثه في كتابه المعروف بمستمسك العروة الوثقى؛ لأنه شرح لكتاب العروة الوثقى للسيد محمد كاظم اليزدي ﵀، وقد صدر الكتاب الآن في ١٨ مجلّدًا.

(٢) السيد أبو القاسم الخوئي:

يتميّز السيد الخوئي ـ حفظه الله ـ بجودة البيان، مع أنه تركي، ولغته الأمّ هي التركية، ولغته الثانية هي اللغة الفارسية، فيما تأتي العربية في الدرجة الثالثة، ولكنه موهوب من هذه الناحية. وقد أعطي من القدرة على البيان باللغة العربية، كما أن لديه القدرة التي يتميّز بها على الآخرين في تصنيف الموضوع تصنيفًا علميًّا، فعندما يحضر الطالب درسه يخرج وهو ملمّ بالموضوع إلمامًا جيدًا، وذلك لقدرته على البيان، وكذلك قدرته على تنظيم الموضوع. وقد يكون لخبرته الواسعة دور في قدرته ومهارته تلك، فهو يحاضر لأكثر من خمسين سنة في البحثين الأصولي والفقهي، وتخرّج من تحت منبره عشرات المجتهدين، وانتشروا في جميع أنحاء العالم.

(٣) الشيخ مرتضى آل الشيخ راضي:

من الأساتذة الذين أذكرهم الشيخ مرتضى آل الشيخ راضي، وهو ينتمي إلى أسرة علمية نجفية، ينسبون إلى جدّهم الشيخ راضي الذي كان مرجعًا من مراجع الشيعة. لقد كان الشيخ مرتضى من نوادر علماء العرب، فقد كان موسوعي المعرفة، فهو من نمط الشريفين المرتضى وأخيه الرضي، فلا يقتصر على تخصصه، ففي الوقت الذي كان فيه فقيهًا ومجازًا بالاجتهاد وأصوليًّا، كان متكلّمًا وفيلسوفًا وأديبًا وشاعرًا ومؤرّخًا .. إلخ. وقد تخرّج على يديه أساتذة كبار في الحوزة. وكان من طبيعته الانزواء، وهي طبيعة لدى العلماء العرب، وهو أمر لاحظته بارزًا من خلال مشاهداتي ومعايشتي لأكثر من عالم ومجتهد عربي في النجف. وانسجامًا مع طبيعته تلك، كان يعقد درسه بمنزله دون أن يكون له كرسي درس ثابت في أحد المساجد أو الصحن الشريف.

(٤) الشيخ محمد رضا المظفّر:

وهو شخصية لعل البعض منكم يعرفه، فهو مؤسس جمعية منتدى النشر، ومؤسس كلية الفقه في النجف الأشرف. لقد كان ﵀ مليئًا بالنشاط والحركة، وكان من أبرز همومه التجديد. كان يعمل ليلاً ونهارًا على تطوير واقع الدراسة في النجف الأشرف بالشكل الذي يتماشى ومتطلّبات الحياة المعاصرة، فأسس ـ من أجل ذلك ـ جمعية منتدى النشر، وبعدها كلية الفقه. وكان من أبرز تلامذتها الخطيب المعروف الشيخ أحمد الوائلي، والسيد جواد شبّر، وهو أيضًا من الخطباء اللامعين. وقد استصدر لها قرارًا لتكون كلية رسمية مقرّة من قبل الدولة، وهي لا تزال قائمة حتى الآن.

وبجانب تلكما المؤسستين، انشغل بالتجديد في المناهج والمقرّرات الدراسية عن طريق وضع مقرّرات جديدة، فوضع كتابه المنطق، وقد استطاع كتابه هذا أن يسيطر على الدراسة الحوزوية إلى الآن. كما وضع كتابه في أصول الفقه، ليدرّس في الحوزة العلمية، وانحسرت أمامه الكتب الأخرى، كالقوانين الذي كان من المقرّرات السابقة التي ظلّت مسيطرة على الدرس الأصولي الحوزوي حقبة من الزمن. وكان يحاول الشيخ المظفّر أن ينقل روح التجديد الموجودة بين جنبيه إلى تلامذته سواءً في الكلية أو الحوزة، واستطاع أن ينجب عددًا كبيرًا من المجدّدين، منهم الشيخ أحمد الوائلي الذي راد التجديد في الخطاب المنبري، ومنهم السيد محمد باقر الحكيم وتجديده في المنهج التاريخي والتدريسي.

(٥) السيد محمد باقر الصدر:

وما يميّزه عن بقية العلماء أنه كان موسوعيًّا من حيث المعرفة، فلم يقتصر على الفقه والأصول. نعم، قد تخصّص في الفقه والأصول، ولكنه إلى جانب هذا كان فيلسوفًا، وليس في الفلسفة القديمة فقط، بل كان له دراية بالفلسفة الحديثة مع أنها لا تدرّس في النجف، وإنما اكتسبها من خلال المطالعة الجادّة، وهو ما يدلّ عليه بوضوح كتابه (فلسفتنا)، حيث ينبئ عن فهم عميق للفلسفتين القديمة والحديثة، وأن يقارن بينهما ويوازن ويعطي نظريات إسلامية ومصطلحات إسلامية في هذا الكتاب.

وإلى جانب هذا، استطاع أن يجمع بين علم الفقه في المجال

الاقتصادي وبين الاقتصاد في المجالات الفقهية، فوضع كتابه المعروف (اقتصادنا)، وقارنَ فيه بين المبادئ الاقتصادية المعروفة والمذهب الرأسمالي والمذهب الاشتراكي والمذهب الإسلامي، وفي هذا الكتاب استطاع أن يُدخِلَ الإسلامَ الساحةَ الفكرية العالمية، مذهبًا اقتصاديًّا قائمًا بذاته.

وقد تأتى له هذا لأنه كان يقرأ كثيرًا، وهذا ما لمسته عن قرب، إذ كان جارًا لي، فليس بين منزله ومنزلنا سوى حائط يفصل بين البيتين. لقد عايشته، فرأيته يقرأ كثيرًا في الفيزياء والكيمياء ومختلف العلوم والمعارف، فتراه يستعير الكتب من هذا وذاك؛ لأنه كان فقيرًا، فلم يكن يملك من المال ما يستطيع أن يكوّن به مكتبة خاصّة كبيرة. وقد أفادته هذه القراءة إفادة كبيرة، فجعلته يعيش العالم كلَّه محيطًا بالمسلمين في العالم كله. ولذا كوّن من حوله مجموعة كبيرة من الشباب الذين يحملون الفكر الإسلامي بمعناه الحديث. وقد استطاع أن ينزل معترك الصراع الفكري ويصارع المذاهب السياسية المعاصرة والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة، وبكلمة مختصرة: يعدّ الشهيد الصدر عبقريًّا من الذين قلّ أن يجود الزمان بمثلهم.

(٦) السيد محمد تقي الحكيم:

وهو من أسرة المرجع السيد محسن الحكيم، ومن قرابته. وما يميّزه ـ حفظه الله ـ ما كان يتمتّع به من منهجية في الكتابة، فقلّ أن تجد له نظيرًا آخر في النجف أو في العراق يماثله أو يفوقه فيما كان يتمتّع به في المنهجية. وكتابه (الأصول العامّة للفقه المقارن) شاهد على تلكم

المنهجية التي لم نجدها ـ حينها ـ حتى في الجامعات التي يدرس فيها ما يعرف بمناهج البحث العلمي الحديث. ولهذا تمّ طلبه من قبل الدراسات العليا بجامعة بغداد ليقوم بتدريس أصول الفقه الجعفري، وهو الآن من الأساتذة اللامعين هناك. وقد أشرف طوال هذه السنوات على مجموعة كبيرة من رسائل الماجستير والدكتوراه في هذا المعهد، وتخرّج لديه من الأساتذة من الفريقين: الشيعة والسنة.

(٧) الشيخ محمد أمين زين الدين:

يعدّ الشيخ زين الدين من أقدم العلماء الذين تناولوا الإسلام عقيدةً ونظامًا، وأعني بهذا أنه من أقدم من ركّز في بيانه لمفهوم الإسلام باعتباره عقيدةً يؤمن بها المسلم، ونظامًا ينطلق المسلم ـ من عقيدته ـ لتطبيقه والقيام به. وكان ﷺ يحمل همّ الشيعة كثيرًا، ويؤلمه كثيرًا ما تصدره المطابع ودور النشر ووسائل الإعلام من سب وشتم للشيعة. كان لديه اهتمام تميّزَ به عن بقية مراجع الدين الآخرين، وهو تنشئة وتربية مجموعة من طلبة الحوزة، حيث كنتُ أحد هؤلاء الطلاّب العشرة الذين نحضر لديه، وكان يلقي علينا العديد من المحاضرات، ويعلمنا كيفية كتابة المقالة وكتابة البحث، وقد أصبح هؤلاء الآن أساتذة كبار ومؤلّفين من خريجي مجلسه ودرسه.

(٨) الشيخ آقا بزرگ الطهراني:

كان الشيخ آقا بزرگ تراثيًّا، فمنذ أن كان شابًّا وهو يعيش داخل المكتبات ويتنقّل بين البلاد الإسلامية باحثًا في مكتباتها، فقرأ عشرات الآلاف من الكتب، وألّف كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، الذي

يحتوي على أسماء كتب الشيعة ونُبَذًا موجزة عنها وعن مؤلّفيها. وقد خدم الشيعة أيما خدمة بكتابه هذا. ولكنّه لم يقدّر على جهده المتميّز هذا بما يستحقّه من التقدير.

ذلك أن الباحث المسلم عندما يذهب إلى الغرب، إلى أمريكا أو أوروبا أو إلى بلاد المشرق إلى الاتحاد السوفييتي، تجدهم يقدرون هذا الرجل، ولا يجدون له نظيرًا في الشيعة، وكتابه من أهم المصادر لأهم ما لديهم من فهارس عن كتب المسلمين. ومثالاً على ذلك تجد أن كتاب الدكتور كارل بروكلمان (تاريخ الأدب العربي) الذي كُتب بالألمانية، وترجم بعض أجزائه إلى العربية، من أهم مصادره الذريعة، وقلّ أن تجد صفحة من صفحاته لا يوجد بها ذكرٌ لكتاب الذريعة. وكذلك كتاب (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سزكين، الذي يعدّ كتاب الذريعة من أهم مصادره. وقد زرت الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن ـ وهو من البارزين المعروفين في البلاد العربية، كان يحدّثني ويشير إلى أن أفضل فهرست صدر باللغة العربية حتّى الآن هو كتاب الذريعة.

وبيانًا لمكانة الشيخ آقا بزرگ وكتابه الذريعة، ينقل السيد محمد تقي الحكيم ـ عندما كان عميدًا لكلية الفقه وأستاذًا في معهد الدراسات العليا في جامعة بغداد ـ أن عميد المعهد ـ وهو الدكتور صادق أحمد العلي ـ الذي يعدّ من المدرّسين العرب المعروفين والذين يذكرون بجودة كتاباتهم ودراساتهم، طلب منه نخبةٌ من المثقفين والكتاب اللقاء بالشيخ آقا بزرگ، وكان الواسطة في ذلك السيد محمد تقي الحكيم.

ولذلك قام السيد الحكيم بترتيب اللقاء الذي تمّ بعد أن تناولوا وجبة الغداء في منزل الحكيم. حيث انطلقوا من منزله متوجهين إلى

منزل الشيخ الطهراني الواقع في محلة الجديدة، وهو بيت صغير جدًّا ومتواضع. طرقوا باب المجلس الذي يعدّ في الوقت نفسه مكتبته الخاصّة، ودخلوا وإذا به يمسك القلم بيده اليمنى وهي ترتعش، ويده اليسرى تمسك بالورقة التي يكتب عليها، وهو يكتب على طاولة صغيرة أرضية يتكئ عليها، وهو جالس على الأرض، وكان نحيلاً جدًّا.

وقد تفاجأ الجميع مما رأوه، إذ كانوا يتوقعون أن يروا منزلاً فاخرًا وهيئة ذات جسم معتدل. وإذا بهم يرون رجلاً نحيلاً فقيرًا معدمًا في زاوية من زوايا النجف، ولا يعرف عنه وعن مكانته العلمية في مدينته إلاّ القليل. وفي نهاية اللقاء أبلغ الوفدُ السيدَ الحكيم استغرابهم ودهشتهم مما رأوا، وأبلغوه بأنهم يفخرون بانتمائهم ويعرّفون أنفسهم أمام الآخرين في الخارج بأنهم من العراق من بلاد آقا بزرگ، فيما الناس هنا لا يعرفون ما يحمل هذا الرجل من تقدير وإكبار لدى المراكز العلمية في الغرب.

وفي موقف آخر مشابه فيه شيء من الطرافة وقع معي بخصوص الشيخ آقا بزرگ رحمه الله، وذلك عندما زار النجف الأشرف من القطيف الشيخ الميرزا حسين البريكي الخطيب المعروف هنا. وقد سمعتُ بمقدمه وبالمنزل الذي نزل به، وتعرفتُ إليه وزرته ـ حينها ـ، وقد بادلني الزيارة في كلية الفقه. وأثناء زيارته طلب مني أن يزور الشيخ الطهراني ليتعرف إليه ما دام قد زار النجف. وقد اتفقنا على موعد الزيارة، وفي الموعد المتفق عليه قدم ومعه شخص آخر من القطيف من آل الزاير صحبنا في الزيارة. وعندما وصلنا إلى بيت الشيخ، كان باب المجلس مفتوحًا، فطرقناه ودخلنا، وكنت أهمّ بتعريف الشيخ الطهراني بالميرزا البريكي وبعدها نجلس، ولكن صاحبنا من آل الزاير كان قد وقف هنيهات مستغربًا من هول ما رآه، إذ إنه كان يعلم أن كلمة

(بزرگ) تعني بالعربية: (كبير)، وقد تخيّل أنه سيرى إنسانًا ضخم الجثّة ممتلئ الجسم، وإذا به أمام جسم في غاية النحول، فقال بلهجته القطيفية: نااايييبه (كلمة استغراب)؟!!

النجف في عصرها الذهبي

بعد استعراض مجموعة من هؤلاء الأساتذة وبعض منجزاتهم وما تميّزوا به، أحب أن أشير إلى نقطة مهمّة تخصّ هذا العصر الذي سميته في بعض كتاباتي بعصر السيد الحكيم. لقد كان هذا العصر ـ فيما توصلتُ إليه في كتاب عن تاريخ النجف الأشرف ـ يعدّ من العصور الذهبية للنجف، ويعدّ الذروة العلمية التي وصلت إليه المدرسة الفقهية النجفية، فكان فيه من المجتهدين وأصحاب درس البحث الخارج العدد الكبير، وخرج من تحت أياديهم العدد الكبير من المجتهدين.

وفي هذا العصر كانت المؤلفات الموسوعية، من قبيل المستمسك للسيد الحكيم، وموسوعة الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني ﵀، والذريعة في تصانيف الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني في ٢٥ مجلّدًا، ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي الذي طبع في أكثر من ٢٠ مجلّدًا، والقواعد الفقهية للملا حسن البجنوردي، حيث طبع في ستة مجلدات، ويعدّ أوسع كتاب في القواعد الفقهية لدى الشيعة والسنّة من حيث سعة البحث وعمقه وجودته، وكتاب الإمام الصادق والمذاهب الأربعة للشيخ أسد حيدر في ٨ مجلّدات، والموسوعات الأخرى التي قد تغيب عني أسماؤها الآن، فهذا العصر قد أنجب وأعطى عطاءً خصبًا جدًّا، وربما كان هذا من الأسباب التي أدّت إلى أن تؤول النجف الأشرف إلى ما آلت إليه الآن. حفظ الله هذه البلد وأعاد لها مجدها، بإذنه تعالى.

الفصل الثاني

طالب العلوم الدينية: الدور والوظيفة

- أهمية الدراسات الفقهية في المجتمع المسلم
- موقعية طالب العلم في المجتمع المسلم

■ **ما هي نصيحتكم التي تقدمونها لأهل وطلاّب العلوم الدينية الذين يرغبون في أن يحذوا حذوكم في مقام التأليف والكتابة والدعوة إلى العمل الإسلامي؟**

□ دراسة العلوم الشرعية من أهم وأفضل التخصصات التي قد يتوجّه إليها أي إنسان، وهناك أحاديث كثيرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تحثّ على دراسة العلوم الشرعية وعلى احترام الطالب الذي هو في صدد دراسة هذه العلوم، وبجانبها هناك من الأحاديث ما يدعو إلى احترام عالم الدين وتقديره وتشجيعه، وهذا ما يعطي هذه الفئة أهمية كبيرة بين الناس.

من خلال التجربة في الدراسة الحوزوية ورديفتها الجامعية، أو ما يمكن تسميتهما بالجوامعية والجامعية، حيث النسبة إلى الجامع والجامعة، إذ الجامعة مؤنّث الجامع ـ لغويًّا، ولذلك بالإمكان المزاوجة بينهما لتأتي النتيجة موفّقة إن شاء الله. إنني ـ ومن خلال المزاوجة بينهما ـ يمكن الحديث عن بعض النقاط المهمّة استخلاصًا من تلكم التجربة، وقبل الإشارة إليها، أمهّد لذلك بمقدّمة حول أهمية الفقه في الحياة ـ

حيث هو مادة التخصّص الأولى في الدراسات الحوزوية، إذ تأتي أهمية طالب العلم من أهمية مادة تخصّصه:

أهمية الدراسات الفقهية في المجتمع المسلم

هناك مأثورة يتناقلها العلماء من شتّى المذاهب الإسلامية تفيد بأن: «لله في كلّ واقعة حكمًا».

ومعنى هذه العبارة بأن الإنسان يتعامل مع نفسه ومع الآخرين، كما يتعامل مع مختلف ما يحيط به في هذه الحياة، وكل تصرُّف من تصرّفات الإنسان وكل تعامل من تعاملاته المتعدّدة محكوم بأمر وحكم شرعي، إما الوجوب، أو الحرمة، أو الاستحباب، أو الكراهة، أو الإباحة، أو الصحّة، أو البطلان، وغيرها من الأحكام الشرعية.

وعند محاولة فهم الغاية من هذه التشريعات الإلهية المحيطة بجميع جوانب الإنسان الحياتية، نجد أنها وضعت من أجل أن يصل الإنسان ـ من خلالها ـ إلى ما يحقّق مصالحه في جميع هذه الجوانب دون الاعتداء والإساءة إلى الآخرين في تلكم الجوانب المقابلة أو غيرها من الجوانب الأخرى. وهو أمرٌ يمكن إدراكه من خلال المقارنة بين التشريعات الإلهية مع ما يقابلها من التشريعات والقوانين المدنية.

فما يراه المتابع لتاريخ التقنين والتشريع في المجتمعات البشريّة أنها قوانين خاضعة للتجديد والتغيير مع كل فترة زمنية معيّنة، وذلك بعد أن يكتشف الإنسان فشل القانون السابق، ليستبدل به قانونًا جديدًا يجد فيه ما هو أصلح وأقرب لتحقيق المصلحة العامّة والخاصّة.

وما يجعل هذه القوانين في تبدّل وتغيّر دائم أنها صادرة عن العقل البشري، وهو العقل القاصر عن إدراك المصلحة التي تحقّق أكبر قدر من العدالة بين الجميع، وبخلاف ذلك القانون الصادر عن الله تعالى، حيث لا يصدر عنه ما هو خلاف هذه المصلحة أو ما يضرّ بإنسان في مقابل ما يجلبه من مصلحة لآخر، وذلك يتحقّق في حال تمّ تطبيق الأحكام الشرعية بصورة دقيقة ودون غلبة الهوى البشري في مخالفتها واجتزاء التطبيق فيها.

والأمر الآخر الذي نفيده من المأثورة: أن الإنسان ما دام يعلم بوجود حكم إسلامي في شتى الجوانب الحياتية، فالمسلم ـ وانطلاقًا من عقيدة الإيمان بالله تعالى ـ يسعى إلى تطبيق الحكم الإسلامي فيها، وذلك رغبةً في حصوله على رضا الله تعالى ورضوانه.

موقعية طالب العلم في المجتمع المسلم

وانطلاقًا من هذين الأمرين (جلب المصلحة للإنسان وفق الأحكام الشرعية، واكتساب رضا الله)، يقع على طالب العلم مسؤولية في غاية الأهمية، وهي: أن يتعرّف طالب العلم الشرعي هذه الحياة ويفهمها كما هي؛ وذلك لأن من وظيفته ـ متخصّصًا في الفقه الإسلامي ـ أن يعطي الأحكام الشرعية التي تمسّ كل جانب من جوانب حياة الإنسان، وعالم الدين لا يستطيع إعطاء الحكم الصحيح ما لم يعرف الموضوع بصورة واضحة في ذهنه. ولبيان ذلك، أذكر المثال التالي: فذلك الكأس الذي يقع عليه ناظر الإنسان لأول وهلة ويراه أمامه، عليه أن يعرف ما بداخله قبل تناوله، فإن كان ما به من سائل هو ماء،

يختلف فيما لو كان خمرًا. فلو قُدّم ذلكم الكأس لأحد طلاّب العلم وعرف أن السائل هو ماء، فسيعطي حكمه بجواز وإباحة تناوله، وسيعطي حكمه بحرمة تناوله فيما لو بدا له بأنه خمر.

وهناك العديد من الموضوعات التي قد تكون غامضة بدرجات متفاوتة في تحديدها، وبمقدار ما يكون طالب العلم ملمًّا بمجريات الحياة المعاصرة، سيكون أقرب إلى تحديد طبيعتها. وفي المقابل، فإنه بمقدار ما يبتعد عن فهم معطيات هذه الحياة بتعقيداتها المعاصرة، سيكون أبعد عن التحديد الدقيق للكثير من موضوعاتها، وهو ما ينعكس سلبًا على تحديد الحكم الشرعي لتلكم الموضوعات.

وللوصول إلى فهم أقرب لواقع الحياة المعاصرة، على طالب العلم أن يتحلّى بطبيعة حبّ الاطلاع والقراءة الواسعة، فالإنسان ـ من خلال وسائل الإعلام والمعرفة الحديثين ـ يستطيع أن يتعرّف ما يحدث من أول العالم إلى آخره، وتمكّنه من الاطلاع الواسع والدقيق على الكثير من المجريات والموضوعات الحديثة بصورة مفصّلة يساهم في فهم هذه الموضوعات وخلفياتها بصورة أوسع.

ومن المفيد أن أضرب لذلك مثالاً معاصرًا، وهو موضوع البنوك التجارية، فعندما يأتي أحدهم ليسأل طالب العلم عن حكم فتح حساب جارٍ في أحد البنوك التجارية، أو عن حكم الإيداع في البنك، فإن الإجابة التي يحصل عليها المستفتي في كثير من الحالات هي أن حكم الإيداع ـ مثلاً ـ الجواز في حال كان البنك كذا وكذا، أو كان بالحالة الكذائية، ويحرم إذا كان كذا وكذا، أو أنه قد يكون مخيّرًا بين

الإيداع وعدمه في حال كان البنك في وضعه الكذائي ..، وغيرها من الافتراضات والاحتمالات المفتوحة، التي قد يكون بعضها منطبقًا على الواقع، وقد لا يكون أيٌّ منها مما هو متحقّق في الواقع، وهي طريقة عقيمة وغير مجدية، كما أنها غير دقيقة؛ لعدم انطلاقها من الواقع القائم. ويضاف إلى ذلك أن المستفتي قد لا يجيد تحديد الموضوع كما هو بذهن طالب العلم، فعالم الدين أقرب إلى فهم الواقع وحسن تطبيقه من الإنسان العادي، وذلك لوجود الخلفية العلمية لديه.

إن الطريقة الأقرب إلى مذاق الشارع ـ كما يعبّر في المصادر الفقهية ـ أن يذهب عالم الدين إلى البنوك المحلية التي يتعامل معها أبناء مجتمعه، ويطلب من البنك الاطلاع على طبيعة المعاملات التجارية والمصرفية التي يقوم بها المودعون وعملاء البنك، وأن يزوّده بعينات من المستندات التي يتم من خلالها إجراء المعاملات بين البنك وبين عملائه. وهي الطريقة المتبعة في الدراسات الأكاديمية، حيث تبنى النتائج بناءً على الدراسات الميدانية. وفي هذه الحال ـ بعد أن يقوم طالب العلم بدراسة المعاملات التي تجريها البنوك المحلية ـ يرسل ما يتوصّل إليه من تحليل ووصف دقيق لواقع تلكم المعاملات على شكل تقرير إلى المرجعية التي يمكنها إعطاء الحكم الشرعي بناءً على وصف وتحليل طلبة العلوم الدينية في تلكم المنطقة من العالم الإسلامي.

إن المستجدات في الحياة المعاصرة كثيرة ومتعدّدة المجالات، والناس يقبلون على هذه المتغيرات بصورة سريعة ومباشرة، وعلى طالب العلم أن يكون على اطلاع واسع بهذه المتغيرات لفهمها بصورة مباشرة.

(١) الاطلاع الواسع والمعاصر:

وفي مجال القراءة، أشير إلى نقطة مهمّة، وهي أن على طالب العلم ألاّ يكتفي بمطالعة الكتب الدراسية وما يرتبط بها من مصادر معلوماتها، وإنما عليه الاطلاع أكثر على المجلاّت الثقافية الحديثة، وكذلك متابعة الصحف المحلية وغير المحلية وكل ما من شأنه أن يوسّع مداركه ويزوّده بالمعلومة الحديثة والموثّقة. وفي هذا المجال، أشير إلى أن هناك حاليًّا العديد من المجلاّت الأكاديمية تصدر في العالمين العربي والإسلامي ينشر فيها العديد من الدراسات الجادّة التي يكون البعض منها ذا ارتباط مباشر بالدراسات الفقهية، فيما البعض الآخر منها قد يساهم في فهم العديد من الموضوعات التي يحتاج الفقيه لإعطاء الحكم الشرعي بخصوصها. فالدراسات التي تنشر لمناقشة موضوع التأمين ـ مثلاً، هي دراسات قد تكون ـ بالدرجة الأولى ـ دراسات اقتصادية، ولكنها ذات علاقة مباشرة في فهم موضوع التأمين الذي من شأن الفقيه أن يعطي رأيه الفقهي بشأنه.

وفي شأن مشابه، أشير إلى أن هناك من طلبة العلوم الدينية من تكون طبيعة دراسته بحيث لا يكون لديه أي اطلاع ـ ولو يسير ـ على العلوم الطبيعية والرياضية والعلوم الإنسانية، من قبيل الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلم النفس والاجتماع، فيما هي العلوم المسيطرة على مجمل الحياة الاجتماعية اليوم، ولها مدخلية مباشرة في فهم بعض الموضوعات الفقهية، كما تساعد طالب العلوم الدينية في فهم بعض الموضوعات الحديثة.

ولذلك من المهمّ أن يكون هناك توجّه لدى طالب العلم أن يدرك مبادئ هذه العلوم لتسهّل عليه التعامل مع المجريات الحياتية الحديثة ولفهم طبيعة المجتمع اليوم؛ ذلك أن معظم تعاملات الناس متأثرة بهذه العلوم ولها ارتباط مباشر أو غير مباشر معها. وفي خطوة متقدّمة، أتمنّى أن تدخل مبادئ هذه العلوم ـ وبخاصّة العلوم الإنسانية منها ـ في مجال الدراسة الحوزوية.

(٢) الاهتمام بدراسة الموضوعات الفقهية الحديثة:

وهي نقطة تقودنا إلى بيان نقطة أخرى مهمّة، وهي الإشارة إلى ما يبحثه الفقه ـ في مقرّراته الحالية في الحوزات العلمية ـ من أبواب لا وجود لها في حياتنا المعاصرة، وهي موضوعات فرضتها طبيعة الحياة التي ألّفت فيها هذه الكتب والمقرّرات، وكان من وظيفة فقهاء ذلكم الزمان عرضها وإعطاء الحكم الشرعي بشأنها، قيامًا منهم بواجبهم وتحديدًا للرأي الإسلامي بشأنها. ولكننا اليوم نعيش في ظروف ووسائل معيشية مختلفة، اقتضت تغييرًا كبيرًا عمّا كان يعيشه علماء ذلكم الزمان، وهو ما يتطلّب منّا مواءمة المقرّرات الدراسية مع الواقع الذي نعيشه اليوم، فتستبعد تلكم الموضوعات التي لم تعد جزءًا من حياتنا اليومية، وتدرس تلكم العناوين والموضوعات التي استحدثتها الوسائل والأساليب الحياتية المعاصرة.

(٣) مناهج البحث الحديثة:

المفترض بعالم الدين اليوم أن يكون عالمًا بتخصّصه أكثر من أي

وقت مضى، موسوعيًّا في معرفته، متقنًا لفنّ الكتابة والبحث والتأليف. فطلاّب الجامعات اليوم على مختلف تخصّصاتهم ـ يلزمون بكتابة البحوث والدراسات الأكاديمية، بحيث أصبحت هذه المهمّة شرطًا من شروط التخرّج في تلكم الجامعات، وذلك بهدف تخريج مجموعة من الأكاديميين الذين يتقنون البحث الجادّ عن المعلومة والاطلاع على المصادر الحديثة والقديمة والموازنة بينها. وهي وظيفة إلى عالم الدين أقرب وأولى، إذ من المفترض بعالم الدين أن يتعوّد كتابة البحوث، وأن تتّسم هذه الكتابة بمناهج البحث الحديثة، التي من شأنها أن تقرّب بين الدراسات الحوزوية التقليدية في أسلوبها ومعالجتها للمادّة العلمية وتلكم الدراسات الأكاديمية في أسلوبها الحديث الأقرب إلى مخاطبة الجمهور العامّ ومعه جمهور الأكاديميين الذين قد يصعب عليهم ـ مع تخصّصاتهم العلمية العالية ـ هضم واستيعاب المادة العلمية الحوزوية بسبب اختلاف لغتها ونمطها الدراسي المغاير.

(٤) شحّ الدراسات الحوزوية المعاصرة:

ومثالاً على أهمية المشاركة العلمية، أشير إلى إحصائية اطّلعتُ عليها في إحدى المجلاّت بأن ما صدر من مؤلّفات تناولت الشيعة وعقيدتهم بالنقد والهجوم خلال السنوات العشر الماضية يزيد عن ٢٠٠ كتاب، وبعضها طبع ونشر منه ملايين النسخ، وفي مقابل هذا الهجوم الشرس والمتعمّد، لم يصدر عن الشيعة في الردّ والمناقشة إلا كتابات محدودة جدًّا لا تتناسب ومستوى الهجمة التي يتعرضون إليها. وأنا هنا لا أريد أن أدفع باتجاه الإساءة إلى الآخرين أو الهجوم المقابل عليهم

وتصعيد حالة الصراع الطائفي والمذهبي، بقدر ما أدعو إلى دفع هذه الشبهات وبيان الرأي الإمامي بأسلوب علمي يكشف عن حقيقة العقيدة الإمامية حول ما يثار حولها من إثارات هي في معظمها غير دقيقة ومشوّهة.

وهذه المهمّة هي من صلب اهتمام ووظيفة عالم الدين قبل أن تكون موجّهة إلى أي إنسان آخر، وما يدفع باتجاه القيام بهذه الوظيفة في صورتها الصحيحة والمشرقة هو التوجّه من قبل طلبة العلوم نحو الاهتمام بتطوير كفاءاتهم فيما يرتبط بمهارة الكتابة والبحث. ودفع هذه الشبهات وإعطاء الصورة غير المغلوطة عن المذهب، وهي الوظيفة التي قد تكون واجبة في بعض حالاتها، وبخاصّة إذا أدت حالة الهجوم من قبل الآخرين إلى حرف الناس عن عقائدهم وإلى الهجوم المباشر على المذهب والإساءة إليه وإلى أعلامه.

(٥) دور الخطابة في تعزيز وظيفة عالم الدين:

تمرّ بمجتمعاتنا ـ خلال العام الهجري ـ العديد من المناسبات الدينية والاجتماعية التي يحتاج فيها المجتمع إلى وجود الخطيب للإلقاء بالمناسبة، وهنا يتعيّن على طالب العلوم الدينية المبادرة إلى إتقان فنّ الخطابة ليكون في موقع الخطيب في مثل هذه المناسبات، إذ تعدّ الخطابة من أبرز وسائل عالم الدين لنشر المعرفة الدينية ولتوجيه الرأي العام ـ تجاه مشكلاتهم الاجتماعية ـ نحو الرأي والنظرة الإسلامية الصحيحة، وهو أولى في ريادة هذا المجال من ذلكم الخطيب غير الملتزم بدراسة العلوم الحوزوية. وهناك اليوم العديد من المصادر الجيّدة التي من شأنها أن تساعد الإنسان في إتقان هذا الفنّ.

وهو أمرٌ يمكن للمتابع أن يلاحظه لدى خريجي جامعة الأزهر، حيث كثرة الخطباء لديهم بصورة كبيرة، وهو ما شاهدته أثناء وجودي في مصر، إذ تراهم في أكثر من مناسبة، يقف الطالب منهم ويخطب بشكل متقن وفي مختلف الموضوعات، وما يؤسف عليه أن يفقد هذه المهارة الكثير من طلبة الحوزات العلمية.

(٦) إلقاء المحاضرة الجماهيرية:

وفي مقابل الخطابة المنبرية، على طالب العلم اليوم أن يتعوّد إلقاء المحاضرة الجماهيرية التفاعلية والمشاركة في مثل هذه البرامج والمناسبات، وذلك للحاجة الماسة إليها في مثل وضعنا الاجتماعي الحالي. ذلك أننا لو قمنا بعمل إحصائية حول واقع مجتمعنا ومدى معرفة الجمهور بالأحكام الشرعية وكيفية الحصول عليها وتعلّمها، ربما نخرج بنسبة أن ٩٠٪ من المجتمع لا توجد لديه معرفة تفصيلية بالمسائل الابتلائية التي يحتاجها بصورة يومية، وليست لديه المهارة التي يستطيع من خلالها التعامل مع الرسائل العملية لمعرفة هذه الأحكام.

وهذا المستوى من الجهل بالأحكام الشرعية لا يعدّ تقصيرًا من الجمهور بقدر ما هو تقصير ممّن يفترض بهم أن يقوموا بهذه الوظيفة من طلبة العلوم الدينية، ذلك أن من صميم واجب طالب العلم في الحوزة هو القيام بتعليم مجتمعه ما يحتاجونه من الأحكام الشرعية، وهذا غالبًا لا يتأتى إلا إذا كان طالب العلم قادرًا على إلقاء المحاضرة الجماهيرية والتحضير الجيّد لها.

(٧) الشعور بالمسؤولية تجاه المجتمع:

ما هو شائع في مجتمعنا اليوم أن يخصِّص طالبُ العلم بعض وقته لاستقبال الجمهور الذين يأتي الكثير منهم للاستفتاء أو القيام بدفع الخمس، وهو دور جيّد ويساهم في رفع الكثير من الغموض حول بعض الأحكام الشرعية. ولكنّ الاكتفاء بهذا الدور لا يحقّق الدور المطلوب من طالب العلم؛ ذلك أن مجتمعاتنا اليوم تتعرّض لوفود تيارات فكرية عديدة تعصف بأفكار أبنائه، واكتفاء طالب العلم بتثقيف جمهوره ذي الدائرة الضيّقة من مجمل أبناء مجتمعه لا يتناسب ومستوى الهجمة التي تعصف بهذا المجتمع أو ذاك، إذ ينبغي بطالب العلم أن يكون بمستوى رسالته الإسلامية، وهو ما يتطلّب منه معرفة محيطه ومجتمعه بصورة أوسع، فيعرف الأفكار التي تتصارع فيه وتغزوه، فيقوم بتحديد موقفه منها، ويعمل على وفقها وبما يجد أنه يتناسب ومستوى ما يتطلّبه الأمر من رفع لتلكم الشبهات وتعزيز الحالة الدينية في المجتمع.

الفصل الثالث

السيرة النبوية ومعالجة الشأن الاجتماعي

- دور المشورة في تهيئة القيادات الاجتماعية
- الحاجة إلى اللجان الاستشارية لدى القيادات الاجتماعية
- مفهوم العمل الإسلامي
- الأساليب المعاصرة في ممارسة العمل الإسلامي
- الدور النبوي في حفظ المجتمع المسلم من المؤامرات الخارجية
- المعالجة القرآنية لمشكلة النفاق في المجتمع المسلم
- التعامل مع الفئة الجاهلة بين التوعية والاستيعاب

دور المشورة في تهيئة القيادات الاجتماعية

■ علاقات الرسول ﷺ بمجتمعه يمكن تقسيمها إلى أربع علاقات رئيسة، علاقته مع أصحابه، وعلاقته مع العمل الإسلامي، ومع أتباع الديانات الأخرى، كيهود المدينة، وعلاقته مع الجاهلين. إننا عندما نبدأ بالعلاقة الأولى، وهي علاقته ﷺ مع أصحابه، نجد أن آيات القرآن الكريم تصوّر لنا جوانب من طبيعة هذه العلاقة. ومثالاً على ذلك، نقرأ قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[1]، وفي آية أخرى نقرأ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[2]. وما يمكن إفادته من هاتين الآيتين وغيرهما أن علاقة النبي ﷺ بأصحابه كانت مرتكزة على مبدأ الشورى، أي إن الرسول كان يستشير أصحابه ويتداول أمور المجتمع معهم. وهي

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

الحال التي تدعونا للتساؤل حول صفات القيادة الاجتماعية والداعية إلى الإسلام وعالم الدين فيما يرتبط بمعالجة قضايا المجتمع وشؤونه استنادًا إلى هاتين الآيتين، وحول أهمية وجود لجان استشارية لأي قيادة اجتماعية تساهم في بناء وتخطيط البرامج الدينية والاجتماعية والثقافية وتنفيذ المشاريع لتحقيق تلكم الخطط؟

☐ دور الرسول بين أصحابه وأتباعه كان دورَ تعليم وتربية، وهما المهمّتان اللتان يشير إليهما القرآن الكريم في آياته المحكمات، يقول تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، إذ تشير الآية الكريمة ـ وهناك العديد من الآيات ذات المعنى المشابه ـ بأن ما يقوم به حينما يبعثه الله إلى قومه أنه يقوم بوظيفتي: التعليم والتربية (التزكية)، فكان النبي ﷺ يعلم المسلمين مبادئ العقيدة الإسلامية، وتفاصيل الأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات، وبجانب ذلك كان يربيهم ويهيئهم لتحمّل المسؤولية من بعده على أفضل وجه؛ وذلك لأن النبي ﷺ كان صاحب دعوة ورسالة، ويريد لهذه الدعوة والرسالة أن تنتشر في العالم كله، وهو ما يتطلّب منه إعداد وتهيئة الأرضية الملائمة للقيام بهذا الدور. والأرضية التي يؤمن ﷺ بأنها تحقّق الغرض المطلوب لا بدّ أن يكون فيها قاعدة شعبية واسعة تؤمن بأسس ومبادئ هذه الدعوة، وفي الوقت نفسه أن يتخلّل هذه القواعد

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥١.

الشعبية مجموعة من المؤهلين للقيادة بعد رحيله.

والآيتان المشار إليهما في السؤال تحملان على الجناب الأخلاقي، والمقصود بالجناب الأخلاقي هنا: أن يكون سلوك النبي ﷺ مع قومه مرشدًا وموجهًا سلوكيًّا لأصحابه لئلاَّ ينفردوا بالقرار في إدارة شؤون المجتمع. وهنا أودّ أن أشير إلى نقطة مهمّة بهذا الخصوص لفهم الآيات القرآنية الحاكية عن السيرة النبوية الشريفة، ذلك أن إدراك المعنى القريب لمراد الآية يتأتى من دراسة السيرة نفسها لمعرفة المراد من المشورة هنا، ذلك أننا عندما ندرس سيرته ﷺ نراه يستشير أصحابه في أمورهم ليربيهم ويهيئهم ليكونوا بمستوى المسؤولية فيما بعد، فالاستشارة اتخذها الرسول ﷺ وسيلة من وسائل التربية، وذلك ليعلمهم كيف يستفيد البعض منهم من خبرات البعض الآخر، ولبيان نوعية الاستشارة التي كان يقوم بها الرسول ﷺ أشير إلى المثال التالي:

عندما تتطلّب الحالة القيام بمعركة، فإن النبي ﷺ يعلم ما هو الحكم الشرعي للقيام بتلك المعركة، ولكنّ تنفيذها على أرض الواقع والأساليب المثلى لتطبيقها لا علاقة له بالحكم الشرعي، وإنما يتعلّق ذلك بالأسلوب في تطبيق الحكم، وما يستشير النبي فيه أصحابه هو مشاركتهم الرأي في الأساليب المثلى في تطبيق الأحكام الشرعية، وللاستشارة هنا منافع كثيرة، منها الاستفادة من خبرات الأصحاب، وكذلك تربيتهم على عدم الاستبداد بالرأي، ومعهما: أن يشعر الفرد منهم بانتمائه إلى تلكم المعركة من خلال ما كان له من دور في التخطيط والإعداد لها من البداية، وهو ما يدفعهم للمشاركة بروحية عالية.

وتطبيقًا للسيرة النبوية في اتخاذ القرارات الحاسمة والمفصلية في المجتمع، نجد أننا اليوم نواجه في مجتمعاتنا الإسلامية صعود العديد من التيارات التي قد يكون بعضها تيارات معادية ولها أهداف شيطانية في بعض الأحيان، وهي حركات اجتماعية وفكرية ليس من اليسير التصدّي لها والتغلّب عليها، ولذلك تحتاج القيادات الاجتماعية ـ لممارسة دورها القيادي ـ إلى لجان استشارية لفهم واقع هذه التيارات ومستوى تغلغلها في المجتمع، ولدراسة وتخطيط المواقف المناسبة لمواجهتها، وهو أمرٌ يستدعي منا ـ بحكم هذه الظروف ـ توحيد الكلمة من أجل الإفادة من جميع الطاقات الاجتماعية للنهوض به وتحصينه بما يحافظ على هويته وتديّنه وقيام القيادات بدورها اللائم لتحديات المرحلة. وهنا قد أختلف مع بعض توجهات بعض طلبة العلوم الدينية الذين يرون في القيام والتصدي لمثل هذه الأمور واجبًا كفائيًّا إذا قام به أحدهم سقط عن البقية. إن ما تعيشه مجتمعاتنا اليوم يفرض على الجميع القيام بهذا الدور والوظيفة، كلٌّ حسب طاقته ووسعه، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

إن الدعوة إلى الله والعمل في سبيله لا يحققان الغرض منهما ما لم يسبقهما التخطيط والتدبير الحسن والاستفادة من الطاقات البشرية الموجودة في كل مجتمع، واستشارة ذوي الاختصاص منهم، وهو ما نفيده ـ كما أشار السؤال ـ من الآية الكريمة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، وبخاصّة أن الآية تشير إلى أن مسألة المشورة تكون فيما يتعلّق بالشأن العام الذي يعود على المجموعة المستشارة، فيقول تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يعني قضيتهم ومسألتهم التي تمسّهم بصورة مباشرة.

الحاجة إلى اللجان الاستشارية

■ ولكنّ ما شاع في مجتمعاتنا ـ وهو ما نأسف من أجله ـ أن الداعية إلى الإسلام لا يحتاج إلى أن تكون حوله خبرات يستفيد منها ويستشيرها في مقام التخطيط والتنفيذ، وبخاصّة فيما يتعلّق بالأمور الدينية، فعالم الدين أعرف بالشأن الديني من الآخرين، كما أن لعالم الدين موقعيته الاجتماعية التي تسمح له الإلمام بالكثير من الأمور التي يصعب على الآخرين أن يلموا بتفاصيلها وتعقيداتها كما يلمّ بها، فما تعليقكم على هذه النظرة؟

□ يمكن للمتابع للتجارب التاريخية التي مرّت بها المرجعية الشيعية في الحوزة النجفية ـ مثلاً ـ أن يرى أنه لم يعهد عن أحد المرجعيات هناك أن ادّعى لنفسه هذه الشمولية فاستبدّ برأيه، بل كانوا يجمعون حولهم شيوخ العشائر العراقية، ومجموعة من أساتذة البحث الخارج الكبار، ويستشيرونهم في بعض القضايا ذات الشأن العام.

وهو ما لمسناه عن قرب أيام تلمذتنا وحضورنا درس السيد محسن الحكيم ﵀، حيث كان ذلك أيام المدّ الشيوعي الذي اجتاح العراق، فوصل إلى أبواب النجف الأشرف وتمكّن من مجموعة من الطبقة الشبابية هناك، إذ قام السيد الحكيم ببعض المبادرات، فأرسل إلى بعض السياسيين في بغداد يستشيرهم ويستمع إلى رأيهم في كيفية التصدّي لمثل هذا المدّ، وبجانبهم يجمع حوله مجموعة من العلماء، فألف ما عرف حينها بجماعة العلماء في تلك الفترة برئاسة الشيخ مرتضى آل ياسين ﵀،

وعضوية السيد محمد تقي بحر العلوم، والشيخ حسين الهمداني، وكانت مؤلّفة من أكثر من عشرة أشخاص، كان منهم السيد محمد باقر الشخص ﵀ من المنطقة هنا. وقد مثّلت جماعة العلماء ـ بهيئتها تلك ـ ما يشبه اللجنة الاستشارية التي يرجع إليها السيد الحكيم عندما يريد أن يتحرّك لتحديد الموقف المناسب من الشيوعية.

لقد كان السيد الحكيم محاطًا بمجموعة من العلماء والسياسيين الذين يرجع إليهم في بعض الاستشارات المهمّة، مع ما له من خبرة جيّدة تميّزه عن بقية المرجعيات النجفية في حينها. ذلك أنه عايش العمل السياسي من حين دخول الإنجليز إلى العراق، حيث رافق السيد محمد سعيد الحبوبي الذي قاد الحملة ضدّهم بأكثر من ٩٠ ألف مقاتل، وكان السيد محسن الحكيم ﵀ عضده الأيمن حينذاك، وهي تجربة مبكّرة، إذ توفي السيد الحبوبي سنة ١٣٣٣هـ، فيما كانت مرجعية السيد الحكيم في السبعينيات الهجرية، وهو ما يعني معايشته للعمل السياسي والتنظيمي لأكثر من ٤٠ سنة. ومع خبرته، كان يدرك أهمية وموقعية اللجان الاستشارية في ضبط العمل وتطويره، سواءً من فئة الشيوخ والكهول، أو حتى من فئة الشباب، ومن الطبقة العلمائية أو من غيرهم من بقية الطبقات والشرائح الاجتماعية الأخرى، ذلك أن الفرد مهما بلغ من النبوغ والإحاطة، لا يمكنه أن يلمّ بجميع ما حوله، مهما صغر ذلكم المجتمع أو المحيط الذي ينتمي إليه ويعمل بين جنباته.

مفهوم العمل الإسلامي

■ **العلاقة الثانية التي نودّ التركيز عليها في**

سيرة النبي ﷺ، هي علاقته بالعمل الإسلامي، إذ كثيرًا ما يتردّد على لسان العلماء والباحثين والشباب الواعي لفظ العمل الإسلامي، فما هو تحديدكم لمفهوم العمل الإسلامي على ضوء سيرة النبي ﷺ؟

☐ لتحديد مفهوم العمل الإسلامي، أمهّد لذلك بمقدّمة مهمّة، وكالتالي:

الإنسان في هذه الحياة يحتاج إلى نظام ينظّم حياته، وهي حاجة يعيشها الإنسان بوجدانه ويسعى إليها دون وعي في بعض الأحيان. فالمواطن الذي يفقد سيطرة الدولة في بعض مواقعها التي يفترض وجودها فيها، يشعر بالفوضى وفقدان حالة الاستقرار التي كان ينعم بها في حال تمكّن الدولة من تطبيق النظام وفرض القانون. ولم يأتِ الدين الإسلامي ليخالف هذه الفطرة والحاجة التي تمثّل ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية في كل عصر ومصر، بل الإسلام في عمقه وكينونته إنما يمثّل حالةً عليا من النظام، سعى النبي ﷺ في دعوته على ترسيخ وزرع مبادئه وقيمه. ولولا النظام لعاش الإنسان في مجتمع غابيّ، يأكل القويّ فيه الضعيف.

وانطلاقًا من ضرورية النظام، على الإنسان أن يحدّد موقفه في اختيار ذلكم النظام الذي يرى فيه تحقيق ما يؤمن به من قيم ومن ترسيخ مبدأ العدالة الاجتماعية، ولا يستطيع الإنسان الاختيار ما لم يعقد نوعًا من المقارنة ومن ثمّ الموازنة بين الأنظمة المعروضة والمقترحة

عليه. والإنسان ينطلق في اختيار النظام من موقع حبّه لذاته، فلا يوجد إنسان لا يحب الخير لنفسه ويسعى لإسعادها وتحقيق مصالحها. وحين المقارنة، نجد أن النظام الإسلامي ـ دون بقية الأنظمة الأخرى ـ هو النظام الإلهي، فيما الأنظمة الأخرى هي من وضع وتشريع الإنسان، ولو قارن الإنسان بين الله واضعًا للتشريع وبين الإنسان واضعًا له، فلا يمكن ترجيح الوضع الإنساني؛ لأنه مهما بلغ من دقّة وشمولية، لن يصل إلى المستوى الإلهي جل سبحانه وتعالى، وستظلّ الأنظمة الإنسانية معرّضة للخطأ والإخفاق، وهو ما تثبته التجربة التاريخية، فيما يظلّ النظام الإلهي يثبت تفوّقه يومًا بعد آخر. نعم، من يخطئ هم القائمون بتطبيقه، حيث لا يراعون الدقّة والأمانة في تطبيق الشريعة، وإلاّ فإن الدين بذاته لا خطأ فيه، وهو النظام الكفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية المنشودة للجميع.

والعمل الإسلامي ليس إلاّ الدعوة إلى تطبيق هذا النظام الإسلامي، تنفيذًا لأمر الله تعالى، وإكمالاً للمسيرة النبوية الشريفة في الدعوة إليه، وسعيًا لإسعاد البشرية.

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[١]، حيث ترشد الآية الكريمة المؤمن إلى أن يكون حريصًا على نفسه بأن يقيها دخول النار، وفي الوقت نفسه أن يكون حريصًا على الآخرين، بدءًا من دائرته الصغيرة المتمثّلة في أهله وأسرته. وعمل المؤمن من أجل تطبيق النظام الإسلامي واجبٌ شرعي، تنبئنا السيرة

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

النبوية مدى التضحية والأمانة التي حرص عليها رسولنا الكريم ﷺ من أجل القيام به خير قيام، وتبعه بعد ذلك أوصياؤه من أهل بيته. وهو ما نراه جليًّا في حادثة كربلاء، إذ ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بنفسه الشريفة من أجل تطبيقه سليمًا كما بلّغه النبي ﷺ، يقول عليه السلام: «إنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»، وهو ما يعني أن ما هو في الواقع الإسلامي حينها إنما تطبيق مشوّه للإسلام، خرج الإمام الحسين عليه السلام من أجل تصحيح المسار وإرجاع الأمور إلى نصابها والوقوف أمام ما يُرتكب من منكرات ومخالفات شرعية واضحة.

الأساليب المعاصرة في ممارسة العمل الإسلامي

■ **في نظركم، ما هي الأساليب الصحيحة لممارسة العمل الإسلامي الملائمة لظروفنا وأوضاعنا الاجتماعية؟**

□ في الشريعة الإسلامية هناك مجموعة من الأحكام الشرعية، وقد أنزلها الله على عباده ليقوموا بأدائها خير قيام. وهي تختلف في تطبيقاتها، يسهل تطبيق البعض منها، لعدم تأثرها باختلاف الظروف الزمانية والمكانية، فيما تحتاج بعض الأحكام إلى بعض الدراسات الميدانية الدقيقة لمعرفة تطبيقها بصورة دقيقة وصحيحة. ولتوضيح ذلك أضرب مثالاً بالأمر الإلهي في الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ

وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾[1]، حيث هو أمرٌ بتهيئة القوّة في المجتمع الإسلامي التي من شأنها أن تحدث الرهبة والخوف لدى العدوّ، ولكنّ الآية الكريمة لم تحدّد طبيعة القوّة التي تحقّق الرهبة والخوف، ذلك أن الحكم هو تحقيق القوّة، ولكن لأن ما يحقّق هذه القوّة يتغيّر بتغيّر الظروف من زمان إلى آخر، يبقى الوصول إلى تلكم الحالة رهن بالأساليب التي يراها المجتمع الإسلامي ـ ممثّلا في قيادته ـ كفيلة بتحقيقها.

وأنطلق من المثال وما سبق أن أوضحته في تعريف العمل الإسلامي للإجابة عن السؤال، ذلك أن الغرض هو الدعوة إلى تطبيق الشريعة في المجتمع، وهذا الهدف تسبقه العديد من الخطوات، ولا يمكن تحقيقها دون المرور بتلكم الخطوات. ولعلّ إطلالة بسيطة على واقع مجتمعنا اليوم، نجد أنّ المجتمع بحاجة إلى معرفة الكثير حول مبادئ ومفردات الثقافة الدينية التي تهيئه إلى فهم الإسلام فهمًا صحيحًا كما يقرّره ويعرضه القرآن الكريم، وبجانب ذلك إلى توعية المجتمع بالأحكام الشرعية الأساسية، وهي تمثّل الخطوة الأولى نحو العمل الإسلامي الواعي. ولتحقيق هذه الخطوة، لا يجب إغفال مسألة الدراسة والتخطيط المنظّم من أجل اتخاذ الوسائل والأساليب المثلى لتحقيق هذه الخطوة.

■ الأساليب المتعارفة في البلاد الإسلامية من العمل المسجدي، وإقامة المحاضرات والندوات

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

والمسابقات الثقافية والرحلات الهادفة والصحف والمجلاّت ونشر سلسلات الكتب وتوزيع الأشرطة، هل ترون في هذه المجموعة من الأساليب التي تمارس في كثير من البلدان الإسلامية ضرورة من أجل القيام بمرحلة التثقيف، أو أن العمل المسجدي كافٍ في تحقيق هدف هذه المرحلة؟

□ للسيد عبد الحسين شرف الدين ؒ صاحب كتاب (المراجعات) كلمة رائعة ترتبط بما تمت الإشارة إليه في السؤال، إذ يقول: «لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال»، وهو يشير هنا إلى أن الوسائل والأساليب التي استعملت في نشر مظاهر الضلال والفساد علينا أن نستعملها في نشر مظاهر الهداية والرشاد. فإذا كانت هناك مجموعة من الصحف والمجلاّت التي تساهم في نشر المنكرات، علينا بإيجاد الصحف التي تساهم في نشر الفضيلة والمعروف بين الناس، وإذا كانت هناك مدرسة من شأنها تخريج مجموعة من الطلبة البعيدين عن الهدف الإسلامي في المجتمع من خلال ما تحويه من مقرّرات دراسية تعزّز هذه الحالة، علينا بإيجاد البديل، وتأسيس تلكم المدرسة ذات المقرّرات الدراسية المعزّزة للحالة الدينية.

إن الفاتيكان، وهو أصغر دولة في العالم، إذ لا تتجاوز مساحته عن أن يكون حيًّا صغيرًا من أحياء العاصمة الإيطالية روما، يعدّ المؤسسة الدينية الرسمية لملايين المسيحيين الكاثوليك في العالم، ويمتلك من الوسائل ما لا تمتلكه جميع المؤسسات الدينية الرسمية في الأزهر أو في النجف أو في قم مثلاً. إذ يملك منذ وقتٍ مبكّر إذاعة، ومجموعة من

الصحف والمجلاّت التي تصدر بعشرات اللغات، تخاطب المسيحيين في مختلف أنحاء العالم، ومن مختلف الأعمار والفئات. كما أنّ لديهم مجموعة من المحاضرات الدينية تعالج مختلف المسائل الحياتية التي توجّه فيها الشاب والمؤمن بالديانة المسيحية إلى التمسّك بدينه وتربطه به.

وهذه الوسائل الحديثة أثبتت فاعليتها في جذب الجمهور إليها، وعلينا ـ في مجال العمل الإسلامي ـ أن نركّز العمل في جميع المجالات التي من شأنها تهيئة الرأي العام نحو الإيمان بضرورة تحكيم الإسلام في جميع نواحي الحياة، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وكذلك في وسائل التعليم والتربية في مختلف المراحل التعليمية. وفي المجال الاجتماعي، لا بدّ من بذل الجهود من أجل التثقيف الجماهيري الواسع، في المسجد والمنبر والمحاضرة، وغيرها من الوسائل والأساليب. ذلك أن أي تقصير في العمل في هذا الاتجاه لا يُعذر المؤمن يوم القيامة في تقصيره فيه؛ فهو في عداد الواجبات، كما هي الحال مع الصلاة والصوم وغيرها من الواجبات الأخرى الملزم المسلم بأدائها.

■ إن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن انطلاقًا من إجابتكم السابقة هو: هل ترون أن من أساليب العمل المناسبة لظروفنا وأوضاعنا التنسيق بين أهل العلم وطلبته من جهة، والشباب المؤمن بالعمل من جهة مقابلة بما يمثّل حالاً من توزيع العمل والمسؤوليات والجهود بين المتصدّين للشأن العام؟

□ أشرتُ في إجابة سابقة بأن المرحلة التي ينبغي أن يُبدأ بها ـ انطلاقًا من الحال التي يعيشها مجتمعنا ـ هو دور التثقيف بالمفاهيم الإسلامية الرئيسة، وهو ما يعني أن يقوم بهذا العمل ـ في مرحلته الأولى ـ طبقة علماء الدين، فهذا من صميم عملهم ووظيفتهم الأساس، فهم المؤهلون لتعريف المجتمع بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وبالأحكام الشرعية بتفاصيلها وتطبيقاتها الصحيحة، ومعهما مختلف المفاهيم الإسلامية الأخرى. وقيام طالب العلم بهذا الدور ليس بحاجة إلى برهنة وإثبات وإقامة الحجة، ويدركه الإنسان العادي الذي يدرك بأن لكل إنسان تخصصًا ووظيفة يؤديها في مجتمعه، وما يتلاءم وطبيعة عمل طالب العلم هو القيام بهذه الوظيفة.

وما أقترحه أن يكون هناك تلاقٍ دائم بين خطباء المنبر الحسيني وبين طلبة العلوم الدينية من أجل توزيع المهام في القيام المنضبط والمنظّم لمثل هذه الوظيفة خير قيام، فذلك من شأنه أن يشيع جوًّا من النهضة الثقافية والدينية في المجتمع، وأن يخلق جيلاً من الشباب المؤمن الواعي في المجتمع.

حفظ المجتمع المسلم من المؤامرات الخارجية

■ **نتنقل الآن إلى العلاقة الثالثة، وهي علاقة النبي ﷺ مع المجتمع المسلم، ذلك أن المجتمع في عصر النبي ﷺ كان على أصناف ومجموعات، منها: اليهود، حيث كانت علاقة النبي ﷺ مع اليهود تختلف عن علاقته بأصحابه، هل نستطيع أن**

نستفيد من علاقته ﷺ باليهود بحيث تكون مرشدًا نبويًّا لنا في التعامل مع أتباع الديانات الأخرى؛ ذلك أن شبابنا يسافرون إلى البلدان الغربية، ويقيمون علاقات مع أهل الأديان الأخرى، كما أن البعض منهم يتواصلون مع أتباع الديانات المغايرة من خلال علاقات العمل المتعدّدة، ماذا نستفيد من علاقة النبي ﷺ باليهود في علاقاتنا مع أهل الأديان الأخرى في واقعنا المعاصر اليوم؟

☐ علاقة النبي ﷺ مع يهود المدينة تختلف في طبيعتها عن علاقتنا اليوم مع بقية الأديان الأخرى، وبخاصّة ما تشيرون إليه من أمثلة في السفر أو التعامل من خلال طبيعة العمل. ذلك أن النبي ﷺ كان في قدومه المدينة أثر مباشر على موقعية اليهود فيها، إذ ساهم احتضان أهل المدينة للنبي وبقية المسلمين بحيث مثّلت حينها عاصمة الدولة الإسلامية ومجتمع المسلمين الأول، ساهم ذلك في تحجيم دور اليهود وشكّل حاجزًا أمام وصولهم إلى مطامعهم في المدينة. وهو ما ولّد لديهم حالاً من العدائية تجاه المسلمين، اتسمت في معظم فتراتها بالكيد من قبلهم تجاه المجتمع المسلم، وصولاً إلى مؤامرتهم التي قصدوا منها اغتيال الرسول ﷺ، وبعدها التآمر على الدولة الإسلامية الوليدة في المدينة مع قريش وبعض القبائل العربية الأخرى.

وهذا النوع من العلاقة يجعلنا ندرس علاقة مجتمعنا الإسلامي مع بقية التيارات الأخرى، والحضارة الإسلامية بصورة عامّة مع الحضارة الغربية التي لا تخفي عداءها المستمرّ للإسلام وحضارته، وأن تلكم

التيارات التي تمثّل امتدادًا للنفوذ الغربي في بلادنا يجب أن نكون على حذر منها، إذ تمثّل لمجتمعنا ما كان يكنّه اليهود للمجتمع المسلم حينها. فكما قام النبي ﷺ بدور مهمّ في كشف وفضح نياتهم وخططهم نحو المجتمع حينها، علينا أن نبذل من الجهود ما نكشف به تلكم المؤامرات والخطط التي تهدف إلى النيل من الإسلام وحملته من أبناء المسلمين.

المعالجة القرآنية لمشكلة النفاق في المجتمع المسلم

■ من العلاقات الاجتماعية التي واجهها النبي ﷺ، كانت علاقته بفئة المنافقين في المجتمع المدني حينها. هل كانت هناك آلية معينة تعامل بها النبي ﷺ مع هذه الفئة؟ وكيف يمكننا الإفادة من طبيعة هذه العلاقة فيما نعيشه اليوم من ظهور بعض حالات النفاق في المجتمع؟ وبماذا تنصحون أبناء المجتمع في مجال التعامل مع ذوي النفاق الاجتماعي انطلاقًا من التجربة النبوية؟

□ مثّل النفاق في العصر النبوي مشكلة اجتماعية معقّدة وخطيرة جدًّا، وبخاصّة أن المجتمع المسلم لمّا يزل في بداياته الأولى وحديث التكوّن. وإذا حاولنا أن ندرس المشكلة وفق المنهج الاجتماعي الذي يدرسها من خلال تحديدها أولاً، ومن ثمّ دراسة الأسباب، وبعد ذلك اقتراح العلاج من خلال دراسة المعطيات الواقعية، فإننا نجد أن أسباب مشكلة النفاق في العهد النبوي كانت تنقسم إلى أسباب داخلية، وأخرى خارجية، الداخلية تكمن في طبيعة المجتمع اليهودي في المدنية الذي درج على عادة الكيد وافتعال المشكلات لتأزيم المجتمع العربي

وإبقائه يعيش حالة الانقسام بصورة دائمة، وهو ما لم يتغيّر مع قدوم النبي ﷺ إلى المدينة وتوحّد المجتمع حول قيادته المبارك.، بل لعلّ في هذه الوحدة ما أثارهم للعمل بصورة أكثر خبثًا من السابق، حيث مثّلت الوحدة الاجتماعية والقيادة النبوية بالنسبة إليهم تحديًا أكبر مما كانوا يواجهونه سابقًا.

وفيما يتعلّق بالأسباب الخارجية، ربما تمثّل حينها في كون الدين الإسلامي ومجتمعه الوليد عدوًّا مشتركًا لهذا المجتمع اليهودي، ويشاركه في ذلك المجتمع المكّي القرشي، وهو ما حفّزهم لمشاركته المكيدة والتخطيط من أجل القضاء عليه، وهو ما لم يتمكنوا منه، إذ إنهم يمكرون ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[(١)].

وما تعرضه الآيات الكريمة بخصوص التجربة النبوية في تصدّيها لمشكلة النفاق، تمثّل في عدّة خطوات، كانت الخطوة الأولى هو تنبيه المسلمين بوجود هذه المشكلة وتحذيرهم منها، إذ إن أول العلاج الاعتراف بوجود المرض والمشكلة، وفي التعريف بالمشكلة، كانت الآيات الكريمة تحدّد أهم صفاتهم، وهي: المكر، وأنهم يمارسون هذا المكر بصورة خفية غير معلنة، يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾[(٢)]، ففي هذه الآية تحذير من وجود مشكلة النفاق في المدينة، وأنها بلغت من الخطورة والدهاء مبلغًا كبيرًا، وهي ظاهرة تقوم في

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠١.

أساسها على عنصر العمل السرّي غير المعلن، وهو ما يشكّل نوعًا من تحذير المجتمع وتهيئته لأخذ الحيطة والحذر من هذه الظاهرة.

وفي مرحلة لاحقة، تولّت العديد من الآيات القرآنية بيان صفاتهم وبعض أساليبهم مع النبي ﷺ ومع أصحابه، يقول تعالى في سورة المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[1]، حيث تعدّ هذه من علاماتهم في تعاملهم مع نبي الله، وهو ما لا يتلاءم وتعامل المسلم الحقّ مع القيادة النبوية، وفي آية أخرى يشير تعالى إلى أسلوبهم في التعامل مع المجتمع المسلم، يقول جلّ شأنه: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾[2].

وهذا النوع من الإرشاد الإلهي للمجتمع المسلم يجعله مجتمعًا يقظًا متنبّهًا لمؤامرات الداخل كما هو متيقّظ لمؤامرات الخارج. وإفادةً من هذه التجربة النبوية، علينا أن نعلم بأن العالم الإسلامي اليوم أمامه العديد من التحديات، وتحيط به العديد من المؤامرات، وذلك للحؤول دون تبني أبنائه للخيار الإسلامي الذي من شأنه أن ينهض به من جديد لتسنّم ما تستحقّه الأمة الإسلامية من مكانة سامية بين الأمم، فإذا وعينا لهذه المسألة، حيث يمثّل هذا النوع من الوعي اعترافًا بوجود المشكلة، ينبغي أن تبقينا هذه في حالة تيقّظ من أي مشاريع تعمل على تفرقتنا وإبعادنا عن تعاليم الدين، سواءً كانت هذه الدعوات داخلية أو

(١) سورة المنافقون، الآية: ٥.
(٢) سورة المنافقون، الآية: ٧.

خارجية، وهو ما يجعل من هذا المجتمع على درجة عالية من الوعي والبصيرة واليقظة.

التعامل مع الفئة الجاهلة بين التوعية والاستيعاب

■ **العلاقة الأخيرة التي نحبّ أن نسلّط الضوء عليها، هي علاقة النبي ﷺ بالفئة المنحرفة التي لم تزل ـ حينها ـ على جاهليتها مع انتمائها إلى المجتمع المسلم، إذ نقرأ في سيرته ﷺ أنه كان في تعامله مع المنحرفين رحيمًا ورفيقًا بهم، كما يبادلهم إساءة الأدب معه ﷺ بالخلق الحسن، فماذا نستفيد من سيرة النبي ﷺ في التعامل مع الفئة الاجتماعية المنحرفة أو ما يمكن تسميتها الفئة الأقل تديّنًا، سواءً من قبل طلبة العلوم الدينية أو من قبل الخطباء أو الفئة الشابة الواعية والمتديّنة، وذلك انطلاقًا من السيرة النبوية العطرة؟**

□ يروى عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»[1]، وما نفيده من هذه الرواية بأن المسلم متى ما كان مستقيمًا في سلوكه وتعامل مع الآخرين بصدق وحسن نيّة وإخلاص في العمل، وأنه قد حقّق جميع غاياته وأهدافه من خلال هذه الاستقامة، فهذه

---

(١) الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط ١٩٩٨م، ج٢/ ٧٨.

أفضل دعوة لما يؤمن به الإنسان من مبدأ. وهذه الحال هي ما تنطبق تمامًا على نبينا الكريم محمد ﷺ، إذ كان يتعامل مع الجاهلين بخلق رفيع ويقرّبهم إليه وإلى الدعوة الإسلامية بأدبه معهم.

وهذا أمرٌ ينسجم مع هدف الرسالة؛ ذلك أن هدف النبي ﷺ من الدعوة ليس التبليغ وحسب، وإنما ـ كما أشرنا سابقًا ـ التربية. والتربية لا يمكن أن تؤتي ثمارها ما لم تكن هناك ثقة متبادلة بين الطرفين. وهذه الثقة لا يمكن بناؤها إلا من خلال التطبيق العملي لما يدعو إليه الداعية، وهو ما يذكره التربويون فيما يتعلّق بتربية الوالدين لأبنائهم، ذلك أن الأبناء يكسبون التربية الحسنة من خلال التقليد الحسن لتصرّفات الوالدين، وليس من خلال التعليمات التي يتلقونها منهما.

وما يمكن الإفادة من هذه العلاقة التي كان رسول الله ﷺ يعامل بها أصحابه هو تمثّلها في واقعنا الاجتماعي، وبخاصّة ممن هم في موقع التصدّي للشأن العام، ذلك أننا بحاجة إلى أن نتقرّب أكثر إلى الجمهور من خلال الخلق والمعاملة الحسنة، وذلك لبناء علاقةٍ أكثر متانة، ولكنّ هذا التقرّب لا يجب أن يكون بحال على حساب القيم والمبادئ الحقّة، فالخطيب ـ مثلاً ـ لا ينبغي أن تدفعه العاطفة نحو الجمهور إلى تبني قيم ومبادئ لا تتوافق والقيم العليا للدين، فالحقّ أحقّ أن يتبع، فالداعية إلى الله إنسان صاحب رسالة بالدرجة الأولى، ومقتضى الرسالية أن يخلص للمبدأ وليس إلى عواطف الجمهور.

من مداخلات الجمهور(*)

مواجهة ما يتعرّض له الشيعة من هجوم

■ أشرتم أثناء حديثكم في إحدى الإجابات بأن هناك هجمة واسعة ضدّ الشيعة، حيث صدر أكثر من ٢٠٠ كتاب في هذا الاتجاه، دون أن يكون هناك ردّة فعل من قبل الشيعة تتناسب ومستوى هذه الهجمة، وأن ردّة الفعل المطلوبة هي لرفع وردّ الشبهات التي تثيرها مثل هذه الإثارات والهجمة الواسعة، وما أودّ التساؤل حوله هو ما نتعرّض له نحن الطلبة في جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، حيث نعاني هناك من أحد المحاضرين بالجامعة هو الدكتور عبد الرحمن بارود الذي يتهجّم في مذكّرة أعدها لمادة العقيدة على الشيعة، وقد وصل به الحدّ أن يلعن الشيعة صراحةً. وقد قمنا بكتابة مقالة تحدثنا فيها عمّا ذكره الدكتور البارود، وأوصلناها إلى سماحة الشيخ عبد الحميد الخطّي، وتستطيعون

(*) لفقدان بقية المحاضرة، اكتفينا من أسئلة ومداخلات الجمهور بما حصلنا عليه من التسجيل المتوفّر.

التواصل مع سماحته للاطلاع على مقالتنا تلك، فهل بإمكانكم القيام بأي دور تساهمون به في رفع هذه المعاناة عن طلبة الجامعة هناك مما يتعرّضون له من إساءة؟

□ ما أستطيع التعليق به حول مثل هذه القضايا أن التحرُّك مطلوب لرفع أي معاناة عن أبناء الشيعة، وهذا من حيث المبدأ والفكرة العامّة. ولكن لكل مسألة حيثياتها الخاصّة، وقد اطّلعتُ على بعض تفاصيل هذه القضية. وما تشير إليه بأنه إساءات صدرت من الدكتور عبد الرحمن بارود كان قد دوّنه في إحدى المذكرات الداخلية بالجامعة، وليس على صفحات كتاب صادر بتصريح من وزارة الإعلام. ومعالجة شأن المذكرة يختلف عن الكتاب الصادر بصورة رسمية، ولو كان هناك ما يمكن أن أقوم به من خلال الكتابة ويثمر الثمرة المطلوبة، فتأكّد بأني لن أبخل بذلك، ولكن بحكم وجودك بالجامعة تعلم بأن الدكتور بارود هو من المكانة بحيث يصعب على مثلي فعل شيء تجاهه، وهذا لا يعني أن تتوقف الجهود الأخرى غير الكتابية. وما أعلمه هو وجود مساعٍ حول هذه القضية، ندعو الله أن يتمكن الإخوة من النجاح في مساعيهم تلك.

معارضة بعض الصحابة للنصّ الشرعي

■ في مقابل العمل التشاوري الذي كان يعمل به النبي ﷺ مع أصحابه، كان هناك بعض الاعتراضات من قبل بعضهم على بعض المسائل

التي كان النبي ﷺ يمضيها، ومنها ما كان يتعلّق بالأحكام الشرعية، ما هو موقف النبي ﷺ تجاه هذه الاعتراضات الصادرة عن بعض الصحابة؟

☐ صدرت بعض المواقف من بعض الصحابة اعترضوا فيها على ما كان يمارسه النبي ﷺ بما يتناسب ووظيفته في الدعوة وتبليغ الرسالة، وكان موقف الرسول ﷺ تجاه جميع تلكم المواقف هو الحسم وعدم القبول بالمخالفة، وكان لكل قضية ما ناسبها من أسلوب ووسيلة في الاعتراض والمواجهة من قبله ﷺ.

المحتويات

في ظلال النبوة

حوار حول السيرة الذاتية وارتباطها بالعمل الإسلامي
مع قراءة للسيرة النبوية الاجتماعية

الكتاب يمثّل ندوة حوارية بمناسبة المولد النبوي الشريف، أقيم في القطيف بتاريخ ١٢/ ربيع الأول/ ١٤١١هـ الموافق للأول من أكتوبر ١٩٩٠م. وكان سماحة العلاّمة الشيخ الدكتور الفضلي (قدس سره) للتوّ قدم للمنطقة متقاعدًا من جامعة الملك عبد العزيز بجدّة، وكان الجمهور متشوّقًا لمعرفة المزيد عن شخصيته المباركة، وهو ما استدعى تقسيم الندوة إلى قسمين، الأول منهما التعريف بالمحاضر، فيما كان القسم الثاني يدور حول الاستفادة من التجربة النبوية مع المجتمع المدني بما يخدم العمل الإسلامي والاجتماعي المحلي.

الطبعة الأولى
2013-1434

طبع هذا الكتاب بمناسبة أربعين العلامة الفضلي